فسحة حب

الإهداء

إلى كلِّ روحٍ متعبة تبحثُ عنْ وسيلةٍ للنجاة

إلى القارئ العزيزِ إليكَ أهدي هذهِ القصة و كلَّ ما أكتبُ ..

محبتي لكمْ !

كاميليا

استيقظتُ بإنزعاجٍ على ضجيجِ الجلساتِ الصباحية مبكراً في يومِ الجمعةِ، دخلتْ أمي إلى غرفتي و حاولتْ إقناعي لأشاركها و أصدقائها هذهِ العاداتِ المملة و كعادتي لمْ ألبي دعوتها .

لا أعلمُ ما هي مشكلتي، أنا لا أكرهُ الناسَ كما تعتقدُ أمي بلْ أتجنبهم، أشعرُ بالغرابة بينهمْ و أخافُ التحدثَ و منحَ ثقتي لأحدهمْ فأتعرضُ للخيبةِ و الخذلان.

ولهذا لا أملكُ أي صديقٍ سوى القماشْ، فحينَ دخلتُ إلى معهدِ تصميمِ الأزياء تعرفتُ على عالمي و أصدقائي، و أدركتُ أن سعادتي تتلخصُ ببعضِ الفساتين التي أصممها !

يامن

-لا أريدُ تناولَ شيءٍ
سوى القهوة
دعوني و شأني، أرجوكمْ!

عندَ كلِّ صباحٍ أكررُ نفسَ العباراتِ منذُ شهورٍ و إلى الآن، لا يدركُ أحدٌ منهمْ عمقَ مأساتي، منذُ أن تلفظتْ حنين ب" لا استطيعُ أنْ أتزوجَ بكْ، قلبي يريدُ شخصاً آخر، اعتذر"!

لم تكترثْ تلكَ الفتاة لصوتِ قلبي حينَ ارتطمَ بباطن الأرض و تحولَ لإجزاءٍ فقدتها، دمرتْ قلبي و انتشلتْ روحي مني ثم مضتْ و منذُ ذاكَ اليومِ أتسائلُ:

ترى هل كنتُ أتوهمُ الحبَ، هلْ خدعتنيْ بتلكَ النظراتِ الجميلة، ألم أكنْ جديراً بها و كافياً لها !

و بعدَ ذلكَ تحولتْ الحياةُ إلى زنزانةٍ علقتُ بها بينَ جدرانِ غرفتي و يتضاعفُ كرهي للعيشِ في كلِ يومْ.

كنتُ أعملُ كاتباً و أكتبُ لها في كلِّ يومٍ رسالةَ حبٍ بخطِ يديّ التي ترتجف منذ شهورٍ لفقدانِ شغفها في الحبِ الذي أطاحَ بها .

كاميليا

أنا أضعُ قلبي و جميعَ حواسي في عملي، و قدْ فقدتُ عقلي بسببِ ذلكْ .

أحبُّ مقولة :

"سأكونُ فقيراً، سأكونُ فناناً، لأنني أريدُ أن أكونَ انساناً."

فينسنت فان غوخ

فان غوخ هو ملهمي فهو الفنانُ الذي حاربَ المرضَ النفسي و الفقرَ و الظروفَ القاسية و نثرَ الجمالَ بريشتهِ فلمْ يعرفهُ أحدٌ في حياتهِ و اكتسبَ شهرةً واسعةً بعد وفاته .

لمْ أحاربْ أحداً مثل ما فعلَ فان غوخ رغمَ أنني أتمنى ذلك ولا أفعلهُ، فأنا جبانة!

أهربُ من رؤية الناس، لا أواجههمْ بأخطائهمْ رغمَ أنها تزعجني، تعودتُ ألا أخوضَ حروباً و اخترتُ السلام منذَ طفولتي، فحياتي عادية جداً، كانتْ أمي تعملُ في خياطةِ الأثواب بعدَ أن تخلّى أبي عن رعايتنا و بررَ فعلتهُ البشعة بجملةٍ سخيفةٍ لا تفارق أذهاننا.

في ذاكَ اليومِ كنتُ أبلغُ الخمس سنوات حينَ عدتُ أنا و أمي من السوقِ و كان أبي بانتظارِ أمي و
نظرَ إليها دونَ أدنى شفقة و قالها ببساطةٍ، سننفصلْ!

نظرتْ لهُ أمي بذهولٍ، كيفَ لأمرأةٍ مسكينةٍ تزوجتْ بنيةِ تأسيسِ عائلةٍ دافئةٍ أنْ تتوقعَ هذهِ الوحشية !

ابتسمتْ أمي و قالت لهُ :لماذا، هل وجدتَ أمرأةً أفضلَ مني؟

أنكرَ هذا الأمر على الفورِ، و بررَ الانفصالَ بأنهُ لمْ يجدْ نفسهُ كافياً لتولي المسؤوليةِ و لعبِ دورِ الزوج و الأب و لم يدركْ ذلكَ سوى متأخراً!

بهذه البساطةِ المغفلةِ بررَ تخليّهِ عنْ هذهِ الأسرة.

يامن

حينَ رحلتْ حنين، شعرتُ و كأنَ أحدهمْ أقتلعَ روحي من جذورِ قلبي، لم أنتبهْ لعمق اسمها إلاّ بعدَ رحيلها،
كانتْ حنين صاحبةَ أجملِ عيونٍ
مكحلّةٍ و حدقتها عسلية، وجهها أبيضٌ شديدُ الجاذبية،
شفتاها زهرية، و ملامحها جريئة ببساطةٍ غريبة، شعرها موجاتٌ كستنائية و يداها حريرية
لفتني حضورها الطاغي بشخصيتها القوية، اللئيمةِ، المغرورةِ، الذكية.

ظننتها طفلةً وياسمينةً نقية، لكنها التهمتْ قلبي بأنيابٍ ماكرةٍ، و ظهرتْ على حقيقتها بوجهٍ عديمِ الشفقة، خالٍ من الجدوى و الرحمة.

كاميليا

بعدَ خروج الضيوف، جلستُ بجانبِ أمي لأعملْ، كنتُ مضطربةً، غارقةً في صمتي و أفكاري و لمْ أتحدثْ، فنظرتْ لي أمي و قالتْ :ماذا بكْ؟

فقلتْ :لا شيءَ أمي
أشعرُ ببعضِ الضيق
من كثافةِ الذكرياتِ
المؤلمةْ

فعانقتني بشدة و قالتْ :لن أقولَ
لكِ أن الحياةَ سهلةً
لكنها مستمرةْ
و ربما علينا
أن ندّعي القوة
إلى أنْ نعيشها فعلاً!

نظرتْ إليها بقلقٍ و قلت :لكنني أخافُ
يا أمي، لقد ذهبَ و تخلّى
عن هذهِ الأسرةْ
لكنهُ تركَ ندوباً لا تذهبْ أبداً

أنا أكرهُ الاقتراب من
الناسِ، أخافهمْ!

ابتسمتْ و الدموعُ تختبئ في قلبها النقي
و ارتدتْ قناعَ المرأة الجبّارة كما اعتدتُ أن أراها
و قالتْ لي :فليذهبْ الجميع
الأهم أن تختاري نفسكِ، هذهِ
القاعدة ستساعدكِ دائماً
على المضي قدماً.

-لا أظنُ الأمرَ بهذهِ السهولة لكنني سأحاولْ.

يامن

"عندما أجلسَ بمفردي، يظنُ الجميعُ إنهُ اكتئاب، ولكنها لحظةُ راحة بعيداً عن تطفلاتِ البشر."

جورج برنارد شو

"قبلَ أنْ تقررْ أنكَ مصابٌ بالاكتئابِ النفسي والإحباطِ، تأكد إن لم تكنْ محاطاً بالأغبياء."

سيغموند فرويد

"الأصعبُ من البكاءِ هو فقدانِ القدرةِ عليه"!

فرانز كافكا

شخّص العديدُ من الأطباءِ حالتي بالاكتئابِ الحادّ، و أتناولُ يومياً المهدئات و الأدويةِ المتعددة التي توقفتُ عن إحصاءِ عددها، لا رغبةَ لي أن أتركُ غرفتي ولا أفعلُ شيئاً أبداً منذُ شهورٍ إلى يومنا هذا، الذي قررتُ به أن أهزمَ ارتجافَ أصابعي و أرمي بهمومي إلى الورق !

لا أشعرُ بشهيةٍ لتناولِ الطعامِ أو الخروجِ أو التحدثِ برفقةِ أحدهم، كلُّ ما في الأمرِ أنني أريدُ شرحَ آلامي في سطورٍ لأنني أختنق !

قبلَ أن أُصابَ بلعنةِ هذهِ الفتاة كنتُ أكتبُ روايةً تتحدثُ عن جريمة قتلٍ و قبلَ أن أنشر روايتي، قُتل قلبي على يدها !

لا يمكنني وصفَ المشهدِ الذي شوهدتُ بهِ، ففي ذاكَ اليومِ الذي طُعنتُ بهِ، دخلتُ إلى منزلي اتكأُ بصعوبة ثم سقطتُ وأنهمرتُ منْ شدةِ الحسرةِ و كانت يدُّ أمي تمسكُ بي و أختي تحضرُ لي الماء، و أبي يقفُ جانباً بحزنٍ و لا يعلمُ كيف لابنهِ، الذي يعدُّ رجلاً أن ينهار لأجلِ امرأةٍ خذلتهُ.

كانتْ المرةُ الأولى التي أرى بها والديَّ بعجزٍ و حزنٍ ثقيلٍ، في تلكَ اللحظة، ازدادَ بغضي لحنينِ و شعرتُ بأنَ الوقتَ قدْ حانَ لانتزاعها من داخلي.

و لم يكن الأمرُ سهلاً فمنذُ ذاكَ اليومِ و أنا عالقٌ في هذهِ الرحلة الشاقة، كيفَ سأنسى حنين، و كيفَ ستستمرُ هذهِ الحياةِ بهذا الثقلْ .

كاميليا

خرجتُ لشراءِ بعضَ القُماش الذي أحتاجهُ في عملي، كنتُ خائفةً من رؤيةِ أحدٍ أعرفهُ فتضيقُ بي الحياةُ أكثر، رغمَ أنني أبدو بخير و أرتدي ثيابي التي أحبْ و أضعُ القليلَ من خافي العيوبِ إلا أنني لا أعلمُ ماذا يحدثُ حينَ ألتقي بأحدهمْ و كأنني أشعرُ بالارتجافِ و الرغبةِ العارمةِ في الإبتعاد.

لا أعلمُ ماذا حلَّ بي بعد رحيلِ أبي لماذا ماتَ في نظري كلُّ شيءٍ رغمَ أنَّ أمي كانتْ تحتضنني جيداً، و كبرتُ ثم حققتُ أحلامي العملية، منحتني أمي الأمانَ و منحني عملي الثقة و لم يمنحني أبي شيئاً سوى الخذلانِ الذي جعلني أمقتُ الاقترابَ منَ الناس.

حينَ أنظرُ إلى الناسِ من بعيدٍ أجدهم سعداء، يتعايشونَ براحةِ و أمانٍ، أتأملهمْ بحسرةٍ لحالي، فأنا لا أعرفُ كيفيةَ التقربِ منْ الناس، ولا أملكَ أيةَ فكرةٍ عن تكوينِ الصداقات !

لطالما كنتُ وحيدةً و أبحثُ عن صديقٍ أتقاسم معهِ همومي و سعادتي، و لكنني و بشكلٍ ما أدفعُ الناسَ بعيداً عني و أخافُ التواصل المباشرَ معهم فاضطرُ لإلغاءِ جميع المواعيد و الاختباءِ

مجدداً بحجةِ الانشغال.

في طفولتي كنتُ أرسمُ فساتينَ الأميراتِ، و أصممُ ثياباً جديدةً للباربي و أعملُ على ماكينةِ الخياطة التي كانتْ تساوي حجمي الصغير، لا أعلمُ كيف استطاعت أمي المسكينة أن تكونَ أماً و أباً و تحضرَ لي ما أحبْ.

يامن

أظنُ أنني في حالةٍ غريبةٍ فهذهِ المشاعرُ التي أتخبطُ بها بين نارِ الحب و نعيمِ الحياة بعيداً عنه تجعلني في حيرةٍ من أمري، فكيفَ يقعُ المرءُ في حبِ من لا يحبهُ، و كيفَ أحبُّها و أكرهها في ذاتِ اللحظة !

لم أعد أستطيع تحملَ هذهِ المشاعرِ الثقيلة، أرهقني هذا الحبُ، و لم تشعرْ بي تلك الفتاةُ على الإطلاق، كانتْ غارقةً في حبٍ أحمق و أوقدتْ بي نارَ الانتقامِ فلماذا انتظر !و ماذا انتظرُ لأعيشَ الحياةَ التي أستحقها، هل فاتَ الأوان أم أنني يجبُ أن أنهض الآن .

شعرتُ لأولِ مرة برغبةٍ في التغيير و الانفتاحِ قليلاً،
خرجتُ من غرفتي و وجدتُ عائلتي في جلسةٍ لطيفةٍ، يتناولونَ الكيكَ اللذيذْ الذي أعدّتهُ أمي و يشربونَ الشاي بهدوء، فنظرتْ لي أمي و قالت :يا حبيبي أهلاً
هل تشاركنا الجلوس!

ابتسمتُ و جلستُ لأولَ مرةٍ خارجَ إطارِ الحزنِ و بدأتُ أستشعرُ اللذةُ التي فقدتها، و كنتُ اتسائلُ في داخلي، لما لا؟ !

لما لا أجربُ أسلوباً مختلفاً في الحياةِ و أحاولُ رؤيتها من زاويةٍ أخرى !

هل كلُّ ما جرى كانْ يستحق !

هل بدأتُ أشعرُ بالتحسنِ !
مئاتُ الأسئلة يتخللها الخوفُ منَ العودةِ لتلكَ البقعةِ المظلمة !

و لكنني سأجدُ حلاً ما، ربما هذهِ النافذةْ ستفتحُ أبواباً عدة..

لا بأسَ المهم الآن أنْ أعيشَ اللحظة
سأتنفسْ بعمقٍ كما قالتْ طبيبتي سالي
عليكَ أن تركز يامن !

كاميليا

في طريقِ عودتي إلى المنزلِ كنتُ أفكرُ..

لا أريدُ الاختباءَ من نفسي مجدداً، أنا في وضعٍ يرثى لهُ، أشعرُ أنهُ حانَ الوقتُ للجوءِ إلى أخصائي نفسي ليساعدني في تجاوزِ آلامي التي تراكمتْ و أثقلتْ روحي..

دخلتُ إلى منزلي و وجدتُ أمي نائمة، فجلستُ للبحثِ على الإنترنت عن أخصائيةٍ نفسية لتساعدني في التخلصِ من هذا الألمِ الذي باتَ يؤذيني و يؤذي من حولي.

و بعدَ بحثٍ طويلٍ وجدتُ الطبيبة سالي بالقربِ من منزلي، و قد أشادَ بجدارتها العديدُ من الأشخاص، فقررتُ الذهابَ إليها في أقربِ موعدٍ ممكن .

يامن

في صباحِ اليومِ التالي

جاءَ صديقي مهنئْ لرؤيتي و أخبرني كمْ أنهُ يشتاق لجلساتنا القديمة، و عادتْ لي احاسيسي السابقة، تذكرتُ كل شيءٍ في لحظةٍ، حين تجردتُ من الحزنِ و الخوفِ و القلقِ للحظاتٍ.

نظرَ لي و بتعجبٍو قال :ماذا هنالك
تبدو مختلفاً اليوم!

أجبته :أشعرُ و كأنني
بدأتُ استيقظ ْ
يا صديقي

فقال :و أخيراً!،
لا أصدقُ!
ما نتمناهُ قد حدثَ بالفعلْ

عانقني بطريقتهِ الغريبةِ و قالْ :الحمدُ لله لكنني أخافُ من انتكاساتك و كتابتك
لذا علينا الاطمئنان
و زيارةِ طبيبتك.

ضحكتْ و قلت لهُ :نعم سنفعلْ
و لكن هلْ لكَ
أن تكفَ عنْ السخريةِ
بي .

=لنْ أسخرَ يا صديقي
أريدُ أن أراك سعيداً، نفتقدُ لكْ.!

-لا تقلق سأكون بخير، أعدّك!

كاميليا

استيقظتُ بنشاطٍ و جلستُ لأشارك أمي الفطور..

سألتني :كيفَ حالكِ
هل تشعرينَ أنكِ بخيرٍ؟

-نعم حبيبتي أنا بخيرٍ
و حجزتُ موعداً
أريدُ أنْ أخبركَ بشأنهِ

=موعدُ ماذا،
ماذا جرى لكِ !

-لاتخافي يا أمي
موعدُ طبيبةٍ
نفسيةٍ، حانَ الوقتُ
لمواجهةِ المشكلة

=الحمد لله

و أخيراً
أنك ستذهبين
للتخلصِ من
هذهِ المشكلة،
ستصبحينَ أفضلْ
لا تخافي يا حبيبتي،
فأنا بجانبكِ !
متى ستذهبينْ؟

-أريدُ أن أذهبَ
على الفورِ يا أمي
أخبرتهمْ، أنني متعبة
ولا أحتملُ التأجيلَ
فساعدتني السكرتيرة
في الحصولِ
على موعدٍ سريعٍ اليوم.

=الحمدُ لله و هلْ
تريدينَ أن أرافقكِ؟

-لا أرجوكِ، لا داعي
لأن أتعبكَ
و أريدُ أن أواجهَ المشكلة
بنفسي، أحتاجُ أنْ
أتدربَ على ايجادِ
القوةِ بمفردي

=أنا فخورةٌ بكْ
اذهبي و سأدعو الله لكِ
أن تتحسني

-أحبكِ، شكراً
لدعمكِ لي

=و أنا أحبكِ جداً
يا ابنتي
و أصلّي و أدعو
الله أنْ يحفظكِ
و يشفيكِ.

-سأتجهزُ و أذهبْ،
لا تخافي سأكون بخير.

يامن

خرجتُ من المنزلِ لمراجعةِ طبيبتي التي انتظرتْ كثيراً لرؤية هذا اليوم!

و كادت تفقدُ الأملَ في تحسنِ حالتي، كنتُ أشعرُ بتسارع ضرباتِ قلبي لأنني لأولِ مرةٍ أرى الحياةَ مختلفة، و كأنني أخافُ أن أخوضها مجدداً حينَ بعثتُ من جديد.

وصلتُ إلى عيادةِ الطبيبةِ سالي، و جلستُ لانتظارِ موعدي، أشعرُ بالانتصارِ لأول مرة، لأنني في هذهِ المرةْ أريدُ النهوض، و إن لم يطلبْ أحدٌ مني هذا النهوض، إنها رغبتي.
دخلتُ إلى غرفةِ سالي بحماسٍ..

-مرحباً يا طبيبتي
ما تريدنهُ حدثَ بالفعلْ
أنا أتحسنْ !

=يا إلهي هذا أجملُ،
خبرٍ يأتيني اليوم !
أخبرني كيفَ حدثَ !

-لا أعلمُ لماذا لمْ
أصلْ إلى هذا الوعي
من قبل!
لكنها كانتْ فكرةً
صغيرةً و ليستْ جديدة
فكرةً خارجَ حدودِ التعلقِ
و الأوهامِ

=فكرةُ النجاة
من كلَّ هذا طبعاً

-أنتِ الوحيدة التي
تشعرُ بما سأقول،
كيف يحدثُ هذا!

=هههه أنا طبيبتكَ
و صديقتكَ و بجانبكَ
أتابعكَ لشهورٍ فكيفَ
لا أفهمك !

المهمُ الآن

لا أريدكَ أن تنسى
أننا سنبدأ في سحبِ
مضاداتِ الاكتئابِ و المهدئاتِ
من جسدك بالتدريجِ
و سنتواصل يومياً
لأنني أريدُ حمايتكَ
من انتكاسةٍ أخافُ حدوثها
تبعاً لسببٍ ما.

-نعم ..إذا سأَخبركِ بكلِ شيءٍ!!

=و هلْ توجدُ مشكلةٌ
في هذا !

-لا لكنني أفكرُ
في الأمورِ الخاصة
كالأمورِ العاطفيةٍد
على سبيلِ المثال

=هههه، هذهِ الأشياءُ تحديداً

التي أريدُ التدخلَ بها،
لنْ أتركَكَ في مغامرةٍ
أخرى قبلَ التأكدِ
من الفتاة جيداً

-لماذا هلْ تغارينَ
على مريضكِ

=و هاد قدْ عادَ
دنجوانُ النساءِ
اخرج !
و ليدخلْ المرضى
الحقيقيون،
أنتَ بحالةٍ ممتازة
لا تحتاجُ طبيبة
بل تحتاجُ لمجلسِ
تأديبٍ

-ههه إلى اللقاء
يا أجملْ طبيبة

=مع السلامةِ يا مريضي
المزعج

خرجتُ من العيادة للتنزهِ قليلاً، اشتقتُ لرؤيةِ الشوارعِ و كأنها دروبٌ متسعةٌ و الانتهاء من شعورِ الاختناقِ عند الخروجِ من المنزل.

كاميليا

دخلتُ إلى عيادة الطبيبة و لا أعلمُ بماذا أشعرُ، إنها المرةُ الأولى التي أواجهُ بها نفسي بهذهِ القوة دون مساعدةٍ أحد !

سأتحدثُ بكلِ شيء، لأولِ مرة سأتعرى و تظهرُ الحقيقةُ التي أخفيها، لستُ خائفة أريدُ أن
أرمي هذا الثقلَ من داخلي، سأُشفى و أنتهي من هذا الألمِ إلى الأبد.

حانَ دوري للدخولِ، و أنا بكاملِ استعدادي، نظرتُ إلى الطبيبةِ و وجدتها امرأةً في غايةِ الجمال و اللطفِ و هذا جعلني في راحةٍ أكثر!
نظرتْ لي و قالت :تفضلي
كاميليا
مرحباً بك، أنا الدكتورة سالي

-مرحباً دكتورة
سالي، تبدينَ لي
و كأنكِ مألوفة

=حقاً، هل تعارفنا من قبلْ

-لا أظنُ رغمَ أنني
أعملُ كمصممةٍ للأزياء

=تبدينَ مليئة بالمفاجأة
حدثيني عن نفسكِ قليلاً!

-أبلغ الرابعة و العشرين،
تخلى عني والدي
حين كنتُ أبلغ الخمس
سنواتٍ فقط، و أمضيتُ
جميعَ مراحلِ حياتي
برفقةِ والدتي التي ربتني
بمفردها

= و كيف تشعرينَ
الآنَ بعد مضي

هذهِ السنواتِ

-لم أتخطى هذا الألمَ
أبداً، و كأنهُ حدثَ بالأمسِ !
و لمْ يقفْ الأمر
عندَ هذا الحدِ فقطْ

=ماذا حدثَ !

-أنا أعاني من مشاعرٍ
لا أظنها طبيعية،
فأنا أخافُ الاقترابَ
من الناس، أخافُ
منهم جميعاً و أشعرُ
بالتهديدِ الدائمُ
عندَ تواجدهمُ بجانبي
أخافُ التعرض للأذى و الجرحِ
و أشعرُ في ذاتِ اللحظة
في رغبةٍ بالتواجدِ
ضمنَ محيطٍ مريحٍ
و أصدقاءٍ طيبينْ
أتقاسمُ معهمُ سعادتي
و همومي

لكنْ ما يحدثُ
حينَ يقتربُ أحدهم مني
أشعرُ بتسارعِ ضرباتِ قلبي
و ضيقِ أنفاسي، أرتجفُ و أكادُ
أن أغيبَ عن الوعي
لا أعلمُ هلْ هذا شيءٌ عادي؟

= لا، هو ليس عادياً
و لكنهُ ليسَ كارثياً
قدْ نحتاجُ لبعضِ المهدئاتِ
مع العلاجِ السلوكي
لأنك تعانينَ من
اضطرابِ الشخصيةِ الاجتنابيةِ
و تتعرضينَ لبعضَ نوباتِ الذعر،
ما حدثَ لكِ هو نتيجةٌ
متوقعةٌ لما مررتِ بهِ،
حينَ رحلَ والدكِ
أصابتكِ صدمة
كانتْ ثقيلةٍ لدرجةِ أنَ
جسدك لم يكن قادراً
على استيعابها، و لكنكِ
بخيرٍ و لن يحدثَ
لكِ شيءْ، على العكسِ تماماً
ستصبحينَ بحالةٍ

أفضلْ في الأيامِ القادمة،
يكفي كونكِ بهذا الوعي
لتأتي للاستشارةِ بمفردك!
أنا فخورة بكِ، أنتِ قوية جداً!

-لا أعلمُ بماذا أشعرُ
أتخبط بينَ الحزن
لكوني أعاني مرضاً
و بينَ سعادتي بمعرفتكِ
و لطفكِ و أنني سُأشفى
إنْ شاء الله بمساعدتكِ
شكراً لكِ !

=العفو يا عزيزتي، منْ
دواعي سروري،
تفضلي هذهِ الوصفة الطبية
كُتبَ عليها الدواء الذي
ستُأخذينهُ قبلَ النومِ،
سنتحدثُ يومياً لإنشاءِ
عاداتٍ جديدةٍ في رحلةِ
العلاجِ السلوكي و ستأتينَ
لزيارتي مرةً في الأسبوعِ

و أتمنى أن أراكِ
بصحةٍ جيدةْ
في جلسةِ المراجعةِ القادمة

-أشكرك !أنتِ ألطفُ
طبيبة، أتمنى أن أراكِ
بخيرٍ

إلى اللقاء.

خرجتُ من عيادةِ الطبيبةِ اللطيفةِ سالي، و كأنَ روحاً جديدةً تسكنُ جسدي..

هل سأنسى و أُشفى؟

هل سأصبحُ قوية و لن أرتجفْ!

و هل سأجلسُ بين الناسِ
باطمئنانٍ و أكونَ صداقاتٍ
جديدة !
و حينَ ينتهي كل هذا
هل سأقعُ في الحبِ

و سأعيشُ حياتاً سعيدة!

يامن

عدتُ إلى المنزلِ بروحٍ مختلفة، رأيتُ ملامحَ الاطمئنانِ ترتسمُ على وجوهِ عائلتي لأولِ مرة منذُ شهورٍ !

ألقيتُ التحية عليهم و ابتسمتُ لأخبرهمْ أنني فعلاً بخير!

ثمَ دخلتُ إلى غرفتي لأعودَ لمهنتي التي تمنحني حبَ الحياة، الكتابة !

استغرقتُ في التفكيرِ بما يحدثُ بواقعية لأكتبهُ بعيداً عن السوداوية التي كنتُ عالقاً بها لفترةٍ طويلة و كتبتْ:

"لم أعدْ أكترثُ لشيءٍ، لا يهمُ ماذا جرى أو ماذا سيجري، أريدُ أن أعيشَ لنفسي التي كنتُ أضحي بها، أحتاجُ أن أعودَ كما كنتْ قبلَ كلِّ هذا الخراب، اشتقتُ لحضوري، سأتوقفُ للأبدِ عن تدميرِ نفسي، لم يفتْ الأوان بعدْ، رغمَ أنّي أدركتُ مؤخراً بعدَ تجاوزِ الطرقاتِ الشاقة أنَّ من خذلني لا يكترثُ لألمي ولم يستحقْ عناءَ المحاولة، وأنني واجهتُ معاركاً قاسيةً لوحدي، و اليومَ أخرجُ نفسي من قوقعةِ الظلامِ لانتصرَ مجدداً بمفردي ."!

و كما قالَ تشيخوف :

"أريدُ بشدةِ أن أعيشْ، أريدُ أنْ تكونَ حياتنا مقدسة، سامية، مهيبةً كقبةِ السماءِ،
سوفَ نحيا !الشمسُ لا تشرقُ في اليومِ مرتين، والحياةُ لاتعطى مرتين، فلتتشبثْ بقوةٍ ببقايا حياتكَ ولتنقذها".

سأُشفى من هذا الاكتئابِ اللعينِ و سأتخلصُ من سمِ تلكَ الفتاة، سأتنفسُ الصعداءَ مجدداً.

نظرتُ إلى هاتفي و وجدتُ رسالةً نصيةٍ من طبيبتي سالي :

"كيفَ حالكَ أيها المشاغبْ، كيفَ تشعر؟"

أرسلتُ لها :

"أنا بخيرٍ يا جميلة لم تتغيرْ حالتي النفسية إلى الآنْ اطمئني !

"المُدرك ليسَ كالغاضب، المُدرك لا يعودُ، لا يعودُ أبداً".

فردتْ :

"يا إلهي كدتُ أنسى أنكَ كاتباً !
و هل يردُ الكاتب على سؤالٍ عادي، بمقولة لدوستوفيسكي !

كن بخير عزيزي !

غداً سنتحدثُ مجدداً لأتأكدَ من كونكَ مدركاً و لستَ غاضباً من الإكتئاب !

كاميليا

دخلتُ إلى المنزلِ و عانقتُ والدتي و أخبرتها باندفاعٍ:

"أمي !!
لقد تجاوزتُ أصعبِ مرحلة،
إنني أعاني من مشكلةٍ
نفسيةٍ لكنني سُأشفى !
سأنتهي من هذا المرضِ
و أقيمَ صداقاتٍ و أجمعكِ بأصدقائي
سأكون بخيرٍ يا أمي "!

انهمرتْ دموعُ أمي التي لم تطلبْ من الله سوى أن أُشفى و قالت :

"الحمدُ لله يا ابنتي، الحمدُ لله!
هل تحتاجينَ لشيءٍ ليساعدكِ في الشفاء، سأفعلُ أي شيءٍ لأجلك !

فقبلّتها و قلت لها :

"لا أحتاجُ سوى دعائكِ يا أمي

سأبدأُ في الانتظامِ بدوائي و اتباعِ تعليماتِ الطبيبة سالي لأتحسنَ بسرعةٍ و أعيشَ الحياةَ التي كنّا نحلمُ بها سويةً "!

عانقتني و قالتْ:

"سأدعو الله دائماً و ستشفينَ يا ابنتي، أنتِ فتاةٌ صلبةٌ حققتْ جميعَ أحلامها و واجهتْ الكثيرَ من المصاعبِ، لم يتبقى سوى القليلْ، أنا واثقةٌ من انتصاركِ على هذا المرض!
و لديّ خبرٌ لكِ أظنهُ سيعجبكِ !

-ما هو؟؟

=اتصلَ رجلٌ من دار الأزياء
و أخبرني أن هاتفكِ خارجَ التغطيةِ
و أنهُ أرادَ أن يخبركِ
أنكِ موهوبة جداً
وتمَ قبولكِ للعملِ
في الدار.

-يا إلهي لا أصدق !
أكبرُ أحلامي
تحقق!!، هذهِ أجملُ مفاجأةٍ
حدثتْ لي على الإطلاق!!

=الحمدُ لله يا ابنتي،
لقد أخبرتكِ أنَ الله لنْ
ينسانا أبداً.!

-سأخرجُ لرؤيتهم يا أمي
سأكونُ قويةً و أواجهُ
مرضي لأجلِ حلمي !

=لا تخافي يا ابنتي
أنتِ بخير
و بحفظِ الله و رعايتهِ.

في صباح اليوم التالي:

يامن

استيقظتُ بتفاؤلٍ عالٍ و انتصارٍ على الخمولِ الذي يسببهُ الدواء لجسدي، نظرتُ إلى هاتفي و وجدتُ رسالةً تنصُ على دعوةٍ من الطبيبةِ سالي لندوتها التوعوية في موضوعِ الصحةِ النفسية، فأرسلتُ لها موافقتي.

جلستُ لتناولِ الفطور برفقةِ عائلتي في ودٍّ، تبادلنا الضحكاتِ و الأحاديثَ الممتعة و كأنني أستردُ حياتي، ماذا يحتاجُ المرءُ أكثرَ من لحظاتِ الطمأنينة !

كنتُ أتمنى الوصولَ إلى هذهِ المشاعرِ في أثناءِ غرقي بالمهدئاتْ، أدركتُ قيمةَ الشعورِ، كيفَ يعيشُ المرءُ دونَ أن يشعر!

كاميليا

استيقظتُ بسعادةٍ على صوتِ أمي لنتناولَ طعامَ الفطور نهضتُ بنشاطٍ و أشعرُ بأنني متحمسة جداً لحياتي القادمة، و أكادُ لا أشعرُ بأثرِ الدواءِ الذي يسحبني للنوم مجدداً..

و في أثناءِ تناولي للطعامِ وصلتني رسالةٌ نصية من الطبيبة سالي و كانتْ تنص على دعوةٍ لحضور ندوتها التي تدعو إلى الوعي بخصوصِ الصحة النفسية، فأجبتها ب" :بالطبعْ سألبي دعوتكِ بسرورٍ "

سألتني أمي :ماذا هنالكْ؟

أجبتها :طبيبتي النفسية
أرسلتْ لي دعوةً لحضورِ
ندوتها الصحية

=جميلٌ جداً، تبدو لطيفةً

و هل ستذهبينْ؟

-نعمْ هي في غاية اللطفِ، و سأذهبُ !

=بالتوفيقِ يا ابنتي، أتمنى أن تكونَ ندوةً مفيدةً لكِ.

يامن

جلستُ لأكتبَ قليلاً قبل خروجي، اخترتُ الكتابةِ كمهنةٍ حينَ وجدتُ نفسي ألجأُ إليها دائماً، فحينَ ألاحظُ شيئاً ما أكتبُ و حين أحبُّ و أكره و أتأملُ جمالَ التفاصيل الصغيرة في الحياةِ أيضاً أكتبْ!

لطالما شغلني التفكيرُ في أبعادِ الأمورِ و القضايا التي كانتْ تشغلُ أفكارَ الأدباء والفلاسفة..

تعمقتُ في فلسفة نيتشه عن الألم حينَ قالْ :

"يجبُ أن تكونَ على استعدادٍ لحرقِ نفسكَ في الشعلةِ الخاصة بك :كيفَ يمكن أن تبعثَ من جديدٍ، إذا لمْ تكنْ في البدءِ رماداً؟"

كم نحترق لأجلِ أن نتقدْ بشعلةٍ أقوى مجدداً !

لكنني هالكٌ في أفكاري المعقدةِ و حياتي التي تقتحمها الكتابة، و كأنني ما أكتبُ، أنتمي لنصوصي و أكادُ أن أفقدَ نفسي بينما أغوصُ في هذا العالم و كما قالَ كافكا :

"إذا كان هُناك مَا هو أشد خُطورة من الإفراطِ في المُخدرات فمِن دونِ شكٍ هو الإفراطُ في الوعي وإدراكِ الأشياءِ".

كنتُ أكتبُ عن الحبِّ الذي ظننتهُ حلماً، و لمْ أكتبْ فلسفتي الخاصة في الحياة، و لكنني أحتاجُ الانسلاخِ عن نفسي، سأكتبُ عن رؤيتي للحياة، عن أفكارٍ و آراءِ لطالما احتفظتُ بها لنفسي.

ربما أبدو شخصاً غامضاً لكنني في الحقيقة شخصٌ بسيطٌ، أحبُّ الحياة و لا آخذها على محملِ الجدْ، أقرأُ بشغف و أستمعُ إلى الطرب و الموسيقى الكلاسيكية القديمة، أتنزهُ في الطبيعةِ بمفردي، أحبُّ الشعر و الأدب بمختلفِ أنواعهِ، لستُ شاباً مؤذياً و لم أعبثْ بمشاعر فتاةٍ من قبل، لا أحبُ تعددَ العلاقات و الخوض في تجاربٍ عدة، مسالمٌ و أمقتُ العاداتِ السيئة، و الشتيمة و التحرشَ بالنساء، أمقتُ الذكورة البغيضة، وتعلمتُ أنْ أكونَ رجلاً حقيقياً دونَ أن أتزيفَ و أدّعي ذلكَ.

نسيتُ نفسي مجدداً بينما استغرقُ في الكتابة و أدركتُ أن الوقتَ قد حانَ لأنهضَ و ألتحقَ بالندوة.

كاميليا

دخلتُ و كنتُ أولَ القادمين إلى الندوة فاقتربتُ للتحدثِ مع الطبيبة سالي و ألقيتُ السلام بحرارةٍ

-مرحباً !

=أهلاً بك!
أنا سعيدةٌ جداً
بقدومكِ، كيف حالكِ؟

-أشعرُ أنني بخير
و الفضل لكِ

=الفضل لله يا حبيبتي
أنا سعيدة بقدومكِ
و أتمنى أن تنالي الفائدةَ
المرجوةَ من هذه المحاضرة !

-أشكركِ !و أنا واثقةٌ من
أهميةِ ما ستقديمهِ !

=الشكرُ لكِ عزيزتي
اجلسي هنا في أوائلِ الصفوفِ
أريدُ أنا أراكِ بينما أتحدث !

-سأجلسُ بالطبع !

يامن

سأخرجُ الآن يا أمي، يا إلهي كم تأخرتْ، أظنُ أن سالي ستطردني !

ضحكتْ أمي و قالتْ :سالي لطيفة ولن تفعلْ

لا تتأخرْ فأنا أعدُّ الغداء

رافقتكَ السلامة يا بنيّ

خرجتُ من المنزل مسرعاً و انتظرتُ نصفَ ساعةٍ لأجدْ وسيلةَ نقلٍ، و كانَ الازدحام غريباً و كأنَ الكونَ بأكملهِ يتآمرُ ضدي لأتأخرَ و أتعرضَ للتوبيخِ من صديقتي.

و بعدَ معاناةٍ من الطريقِ وصلتُ و دخلتُ بينما تتحدث سالي بشغفٍ و قوة كعادتها
كنتُ خجولاً بعضَ الشيء و نظرت إليها بخجلٍ و قلتُ:

-أعتذرُ عن تأخري
لم أقصدْ

ضحكتْ سالي و قالتْ:

=أعرّفكمْ بصديقي الكاتب
المتأخرْ عن مواعيده
دائماً

تفضلْ بالجلوسِ بجانبِ العزيزة كاميليا
حجزنا لكَ هذا المقعدْ
لأراكَ بوضوحٍ

-ما هذا الإحراجُ يا صديقة!
سأجلسُ بصمتٍ الآنْ
و أحاسبكِ فيما بعد !

ضحك جميعُ الحاضرين و لم ألحظْ سوى ضحكةِ فتاةٍ لطيفة تدعى كاميليا و تشبهُ الوردة بالفعل !

نظرتُ لها و قلتُ

-مرحباً أنا يامن !

=ههههه أهلاً بكَ
أنا كاميليا

لكنني لمْ أعدّ أعلمْ شيئاً منذ رؤية هذه الضحكةِ اللطيفة و الفتاةِ التي أعادتْ لقلبي المحطمْ أملهُ منذُ أولِ لقاءٍ.

انتهتْ المحاضرة و اقتربت سالي من مكان جلوسنا و سألتْ:

هلْ كنتُ جيدة؟

هلْ أعحبتكمْ المحاضرة؟

ردتْ كاميليا :نعمْ بالطبع!

أحببتُ حديثكِ و نصائحكِ، أنا محظوظةٌ جداً لكونكِ طبيبتي !

سالي :أشكركِ يا جميلتي
و ماذا عنكْ يا صديقي الأديب؟

-لا أدري، أريدُ الخروجِ قليلاً

خرجتُ بسرعةٍ و غموضٍ مريبٍ مما أثارَ فصولَ سالي لتلحقَ بي و تستأذنَ من كاميليا للخروجِ.

نظرتْ لي سالي بذكائها المعتاد و قالتْ :

أنتَ خائفْ، ماذا هنالك؟

-هل تسألينَ حقاً؟

و ما الذي يخيفني
سوى الحب!

=امم، كاميليا إذاً

-أنا خائفٌ من الوقوعِ مجدداً و هذهِ الفتاة ساحرة، لا تُقاوم، لا أعلمُ كيف استطاعتْ أن تحرّك جزءاً ما، ظننتُ أنني دفنتهُ في داخلي !

=المشاعرُ تأتي فجأةً قبل وعينا و قدرتنا
على اللحاقِ بها، و هي فتاةٌ في غاية الرقة و اللطف،
لا ألومكَ إلى الانجذابِ لها، لكنني أخشى
من هذه العلاقة !

فكاميليا، هي إحدى المرضى التي تعاني
من مشكلةٍ صعبةٍ بعض الشيء
و لا أعلمُ كيفَ سيتمُ الأمرُ بينكما

فأنتَ تخافُ الوقوع في الحبِ و هي تخافُ الاقترابَ منهُ !

-أرجوكِ أن تتوقفي عن التحليلِ،
أريدُ الذهاب للمنزلْ و البقاءَ
بمفردي قليلاً

=سنتحدثُ غداً حينَ تستجمعُ نفسكَ
كن بخيرٍ !

كاميليا

لا أدري ماذا جرى!

خرجَ يامن بسرعة، و لحقتْ بهِ سالي بخوفٍ، ربما أصابهُ شيءٌ ما، لا أدري ما الذي يحصلُ لهما لكنني أشعرُ برغبةٍ في الخروجِ من هذا المكانِ الغريب !

و في أثناء خروجي لحقتْ بي سالي و اعتذرتْ و أخبرتني عن صداقتها مع يامن و أنهُ متعبٌ بعضَ الشيء، فألتمستُ لها عذراً و عدتُ إلى منزلي .

لم تكنْ أمي في المنزل فهي منغمسة في أخذِ قياساتِ الفساتين و شراءِ القماش.

جلستُ في صمتٍ و غرابةٍ أفكرُ بيامن، لا أدري ما الذي أصابَ ذاكَ الشاب فقدْ كانَ يبدو لي أنهُ بخيرٍ و سعادة!

لمْ يفارقْ عقلي مشهدَ خروجهِ فجأةً و كأنهُ تأثرَ بشيءٍ ما، لا أعلمُ عنهُ شيئاً سوى أنهُ يشبهني في طباعي المثيرة للدهشة.

شعرتُ برغبةٍ في التعرفِ إليهِ عن قربٍ فهو الوحيدُ الذي سيفهمني و أنا أفهمهُ جيداً!

اتصلتُ بسالي و طلبتُ منها أن تجمعنا لأنني أشعرُ بقربهِ و قدرتنا على تبادلِ الألم و الشفاء !

ضحكتْ سالي و أُعجبتها فكرتي، و وعدتني أن تجمعنا غداً و أنْ

تعملَ على نقاطٍ تجمعُ ما بيننا.

خرجتُ إلى عملي للنجاةِ من التفكيرِ المستمر، لطالما ألجأ لعملي للهروب من تخبطي في الواقع.

كنتُ دائماً على يقينٍ دائمٍ بمقولة ليوناردو دافنشي :

"يهلكُ الجمال في الحياة، لكنهُ خالدٌ في الفن."

جمالُ الفنِ لا يفنى إلى الأبدِ و جمالُ الحياةِ هو عبارةٌ عن لحظاتٍ مستهلكة تنتهي على غفلةٍ، نلهثُ خلفها، نخافُ غيابها، و نستغيثُ بها لنتشبث ببقايا الحياة التي فُرضت علينا.

يامن

دخلتُ إلى غرفتي على الفورِ حينَ وصلتُ و طلبتُ من الجميعِ تركي و شأني بحجة التعبِ.

بدا وجهي شاحباً بعضَ الشيء و قلبي يستشعرُ لحظاتِ الإعجابِ مجدداً، يا إلهي ما الذي فعلتهُ، لم أؤمنْ في مبدأ الإعجابِ من أول نظرةٍ و كنتُ دائماً ما أراقبُ الشخصية إلى أن تعجبني الفتاة بعد دراسةٍ طويلة !

لكنني الآنَ أندفعُ بكلي نحو هذهِ الزهرة الرقيقة التي بالكادِ قالت لي :مرحباً ! لا لنْ يحدثَ أبداً أن أتعلقَ بأحدٍ مجدداً و أعودُ مثقلاً بالخيبات.

اتصلتْ بي سالي و دعتني إلى جلسةٍ تقيمها بينْ شخصينْ لتقييم الوضعِ النفسي لكليهما و تبادلِ المعرفة عن العلاجِ و وتبادلِ وجهات النظر عن كيفيةِ الخروج من النفقِ المظلمِ.

أحببتُ هذهِ الطريقةِ الغير تقليدية في العلاجِ و وافقتُ على تلبية دعوتها و أظنُ بأنني سأستمتعُ في الإنصاتِ إلى تجربةِ شخصٍ آخر و الاستفادة في العلاج و أيضاً في الكتابة !

لعلَ هذه الفرصة ستتحولُ إلى ومضةِ فكرةٍ لامعةٍ، استخدمها في مشروعٍ جديدٍ لأعودُ بهِ بقوة بعد غيابِ أشهرٍ .

كاميليا

في المساءِ و بعدَ هذا اليوم المتعبِ اتصلتْ بي سالي لتخبرني عن موافقة يامن على الموعدِ الذي طلبتهُ غداً و أخبرتني أنها لم تخبرهُ أنني من طلبتُ الموعد!

يا إلهي كيف فعلتُ هذا و أنا أخافُ من الناسِ، كيف أطلبُ اقترابَ أحدهم!

ماذا سأرتدي؟

ماذا أفعلُ لشعري، هل سأبدو أجملَ بالشعرِ المموج المنسدل أم بالشعر المرفوع!

كيف سيراني، هل مريضةً نفسيةً مثيرةً للشفقةِ؟
أم فتاةً بيضاء، نقية القلب، مستقلة و صعبة المنال !

و بينما أبحثُ عن ثيابٍ لأرتديها استيقظت أمي و دخلت إلى غرفتي

و قالتْ :

ماذا بكِ يا عزيزتي
ماذا تفعلين في هذا الوقت المتأخر !

-أنا متوترة و خائفة يا أمي

=لماذا ماذا حدثْ؟

-رأيتُ شاباً غريباً يشبهني
و جعلني أتخبطُ
و غداً سأراهُ مجدداً!

= يا حبيبتي هذهِ الأمور
لا تتم بهذهِ
السرعة!
لم أراكِ بهذا الضعفْ
و التسرعِ

من قبل!

-أرجوكِ يا أمي
ساعديني!
أنا أعلمْ أنني
في خطرٍ
و أحتاجكِ لأتوقفْ
عن هذا الهراء!
=لستِ في ورطةٍ يا ابنتي
لكنْ أرجوكِ أن تضعي مسافة
بين التعلقِ بهِ و التعرف عليهِ!

-كيفْ أفعل!

=تعرّفي إليهِ
بهدوءٍ إلى أن
تشعري بمشاعرهِ
و شخصيته التي
لا نعلمُ بعد إن
كانتْ تناسبكُ

-و إنْ لم يُعجب
بي !
ماذا أفعل !

=ستعودين إلى
حياتكِ الطبيعية

-لا، لن أستطيعْ
سأتجاهلُ مشاعري!

=المهم أن تكوني بخير
هل تريدينَ
أن أساعدكِ
في اختيار الملابس؟

-نعم أمي،
لكنني أريدُ ملابساً
أظهرُ بها

قوية، لا تكترثُ
لشيء!

=هههههه خذي
القميص الأزرق
فهو يجمعُ
بين الهدوءِ و الأناقة
ما رأيكِ؟

-اختيارٌ رائع
شكراً !

أشعرُ بالإنهاك
تصبحينَ على خير!

=و أنتِ بخير يا صغيرتي!
"إن الحبْ الذي لا يكون نقطة تحولٍ في حياتكَ ويصنعُ منك شخصاً مختلفاً عمّا كنت عليهِ؛ يكونُ محضَ وهمٍ "

شمس التبريزي.

الحبُّ يحتاجُ إلى طرف معذِّب وآخر معذَّب ليكتمل.

–جبران خليل جبران

يامن

استيقظتُ مبكراً قبلَ جميعِ أفرادِ أسرتي و أعددتُ قهوةً شديدةَ المرار ثم جلستُ على شرفة منزلي، أفكرُّ في القادم، أحتاجُ إلى العودةِ إلى عملي، أريدُ أن أُشفى بسرعة و أن أتجنبْ تلكَ الوردةَ التي تتفتح في قلبي رغماً عني، كاميليا !
دائمةُ الخضرة، لامعة، نقية، مرهفةُ الحس، أنوثةٌ بجرعةٍ زائدة لم يتحملها قلبي فمضى مسرعاً بعيداً عن عطرها الذي ملأ الأرجاء!

يا للمصيبةِ أن تكونَ كاتباً و خبيراً في النساءِ، لم يستغرق الأمرُ سوى لقاءٍ لأكتشفَ أعماقها و لم تستغرقْ بضعَ دقائقٍ لتلمسَ برقّتها داخلي !

هلْ الحبُ من طرفٍ واحد هو كذبة!

إذاً لماذا قال جرير حين رأى عينيها :

"إِنَّ العُيونَ الَّتي في طَرفِها حَوَرٌ
قَتَلنَنا ثُمَّ لَم يُحيِينَ قَتلانا

يَصرَعنَ ذا اللُبَّ حَتّى لا حِراكَ بِهِ
وَهُنَّ أَضعَفُ خَلقِ اللهِ أَركانا"

ربما سأخبرُ سالي اليوم لتحاولَ أن تساعدني في تخطي هذهِ المشاعر، أشعرُ أنني لست بخيرٍ على الإطلاق.

سأخرجُ للرياضة لعلني أفرغُ هذهِ الطاقاتِ الغريبة التي تحتلني دونَ رحمة !

كاميليا

-صباحُ الخير ماما

=صباحُ النورِ عزيزتي
كيفَ حالكِ اليوم؟

-لا أدري، و كأنني
أحتاجُ الاسترخاءَ
لعدةِ أيام
انا حائرة
و أتخبطُ
لا أعلم ماذا
سأفعلُ اليوم!

=ستذهبين بالطبع!
لا تقلقي أنتِ قوية
و ستصبحين
بخيرٍ !

-آملُ ذلك !

سأشاركِ القهوة و
أتجهزُ للخروجِ
إلى العملِ و من ثمَّ
سأذهبُ لرؤية سالي
و يامن

=يامن، نعم، يا لهُ من اسمٍ
جميل!

-أمي !ما هذا
هل تستهزأين
بي !

ضحكتْ أمي و قالت:

اذهبي بسرعة لقد تأخرتي

-أنا ذاهبة
و لن أنسى ما قلتهِ
أبداً

هل تريدينَ أن
أتزوجَ أي شخصٍ
لتتخلصِي مني
هل مللتِ من الحياةِ
برفقتي، هل أخرجَ
و أعيشَ لوحدي منذُ الآن؟

=ما هذا الذي تقولينهُ
و هل يوجد أمٌ تفرط بأبنتها
التي عاشتْ حياتها
لأجلها فقط!
لكنني أتمنى بطبيعةِ
الحال أن أراكِ عروساً
و لنْ أزّوج ابنتي
لأيٍ كان!

اصمتي و اذهبي!

-هل أبدو جيدة؟

=هياا اخرجي

- أحبكِ ماما
إلى اللقاء

يامن

انتهيتُ من الرياضةِ و التنزهَ في الطبيعةِ و ذهبتُ إلى عيادةِ سالي مبكراً

جلستُ في غرفةِ الانتظار ريثما تنتهي من عملها، كنتُ أضعُ سماعاتٍ و استمعُ للموسيقار محمد عبد الوهاب و عودهُ الذي يطربُ روحي

مضناكَ جفاهُ مرقدهُ .. و بكاهُ و رحمَ عودهُ

حيرانُ القلبِ معذبهُ ... مقروحِ الجفنِ مسهده

يستهوي الورقَ تأوهُ .. و يذيبَ الصخرَ تنهدهُ

و يناجي النجمَ و يتعبهُ .. و يقيمُ الليلَ و يقعدهُ

الحسنُ حلفتُ بيوسفهِ .. و السورةُ أنكَ مفردهُ

و فجأةً دخلتْ زهرةُ الكاميليا و نظرتْ لي و ابتسمتْ ثم جلستْ بجانبي

و قالت :كيفَ حالكِ؟

-أنا بخير
ماذا عنك؟

=أظن أنني بخير

-ماذا تقصدين؟

=لا أعلمْ، لا يُهمْ!
أحبُّ القراءة
و لا أملك الوقتَ الكافي لها
لكنني أشعرُ بأنَّ
مؤلفاتكَ ستعجبني!

-أتمنى ذلك !
و ماذا عنكِ

بماذا تعملين؟

=أنا مصممةُ أزياء
و أحبُّ الرسم جداً

-توقعتُ أن
تكوني فنانة !
يفيضُ من وجهكِ
رقةُ الفنانين

=ههههه
و أنتْ كذلكْ!
تفيضُ
من وجهك حكمةُ
الأديب

-خفيفةُ الظلِ
أيضاً، حسناً جيد !

قاطعتنا سكرتيرةُ سالي و طلبت مني و من كاميليا الدخول سويةً لرؤية سالي!

ضحكتْ كاميليا و نظرتُ إليها و سألتها:
يا محتالة، هلْ كنتِ تعلمين؟

فأجابتني :نعمْ، بالطبع!

و دخلنا إلى غرفةِ سالي

فقالت :أهلاً و سهلاً!

يا لسعادتي بكم !

فقلتُ لها :هل أنتِ

سعيدة
أيتها المحتالة

هل نُصبَ لي فخٌ
أم ماذا؟

-لا، ليسَ بالضرورة
هو اجتماعُ تبادلِ
الهموم، ليس إلّا!

كيفَ حالكِ
كاميليا
و ما الذي تريدينَ الإفصاحَ
عنهُ؟

=أنا بخيرٍ،
أشكركِ
هل أبدأُ الآن؟

-نعم، أستأذنكِ البدء
الآن، على الفور

=أخافُ
الاقترابِ من الناسِ
رغمَ المشاعرِ النقية
التي أحملها لهم في داخلي
و أتعرضُ لنوباتِ
ذعرٍ عندَ الاقتراب منهم

ابتسمتُ و قلتُ بها :هذا غريبٌ
حقاً لم أشعر بهِ
على الإطلاق
و شعرت أنكِ في غاية اللطف
و الانفتاحِ على الحياة
و الناس !

ابتسمتْ و قالتْ :حينَ خرجتَ
في ذاكِ اليوم بغرابةٍ
رأيتُ نفسي من خلالكَ
و شعرتُ أنكَ تشبهني
فزالَ خوفي و أستطيعُ الآن
التحدثَ لك !

فضحكتُ و قلتُ لها :لا،
إنها وسامتي بالطبعْ
جاذبيةُ الكاتب هي
المحركُ الأساسي

ضحكتْ كاميليا

و قالت سالي :اصمتْ
أرجوكْ و كفَّ
عن هذهِ التصرفات

نظرتْ كاميليا إلى سالي
و قالت :إذاً فهو يفعلها
دائماً

سالي :نعمْ عزيزتي
يعاني من جنونِ
العظمة و حبِ التغني بالنساء

فقلتْ لها : لا تصدقينها، فهي تبالغُ
دائماً، كنتُ أعاني من
اكتئابٍ حاد

تعجبتْ كاميليا و قالت :و لماذا حدثْ؟

ردتْ سالي :بسببِ إحداهن
أيضاً !

نظرت بحدّة إلى سالي و قلتْ :سأحاسبكِ يا سالي!
نعمْ إحداهنَ،
تخلّت عني
قبل زواجنا بيوم
و انا فنانٌ، كاتبٌ
مرهفُ الحس
فلم أتخطى الأمر
بسهولةٍ و أصابني اكتئابٌ
حاد !

تعجبت كاميليا و قالتْ :و لماذا حصل هذا،
هل وجدتْ شخصاً، آخر؟

فقلتُ :يا لسرعةِ بديهتك!
نعم، لم تحبني أبداً، كانتْ
تستخدمُ قلبي لتغيظَ
أحدهم!

=يا لهذهِ
القسوة، كيف استطاعت!
لا أفهمُ مبدأ المؤذيين
كيفَ يحطمُ المرء قلبَ
أحدهم، ألا يخافُ
من ارتدادِ الأذى
إليهِ و كيفَ لا يشعرُ
بأثرهِ في قلب
الآخر!

فقلتُ لها" :خلفَ الواقعِ الذي نعيشهُ هناكَ
حقيقةٌ أخرى مخفية تكونُ
مختلفةً تماماً عما يبدو"

قائلها نيتشه و هي صحيحة

ربما علينا أن نتأهبَ
دوماً لحادثٍ مفاجئ
خلفَ الحقيقة
التي نظنها يقين
و ربما علينا زرعُ
الشكِ في داخلِ
اليقين!

=أنت أديبٌ
حكيمٌ فعلاً !

فقالت سالي :نعمْ هذا
اليقينُ الوحيد
في شخصيةِ يامن

=هههه
أشعرُ أنني متعبةٌ
أريدُ أن أستأذنكم
للذهاب
هل سأراكمْ مجدداً!

شعرتُ بغصةٍ لأنها ستذهب و أخفيتُ مشاعري
و قلتُ بسذاجة :نعم و دائماً
تبدينَ صديقةً لطيفة
سنتحدثُ مجدداً
سأسرقُ رقمكِ من سالي

فابتسمت برقةٍ و قالت :حسناً أنا موافقة!
إلى اللقاء

ردتْ سالي :إلى اللقاء عزيزتي

و لوحتُ لها بينما قلبي يتمنى بقائها إلى الأبد
و قلتُ:
مع السلامة

خرجتْ كاميليا و نظرتْ

لي سالي و قالت:
ما الذي تهذي به
انتبه، أرجوك

فقلتُ لها:

هل تعلمين ماذا قالَ جريرْ:

يا أم عَمْروٍ جزاك الله مغفِرةً

رُدي عليَّ فُؤادي كالذي كانا

ضحكت سالي و قالتْ :أين فؤادكَ
يا بنيّ

فقلتُ لها :ذهبَ منذُ
قليل !

-أشعرُ بأنها
معجبةٌ بكَ
أيضاً و لهذا جمعتُ بينكمْ

لكنْ أرجوكَ
لا تؤذيها،
كاميليا تعاني
من والدها الذي تخلّى
عنها في سنٍ مبكرةٍ
و لهذا أُصيبتْ
بهذا الاضطرابْ

فقلتْ :لا تخافي!
لنْ أقتربَ منها
رغمَ اندفاعِ قلبي
الشديد لها
و ستؤلمها
هذهِ المسافة
لا أعلمُ
ماذا أفعل!

-دعْ الأمرَ للوقت
كن صديقاً لها،
الآنَ فقط!

كاميليا

في طريقِ عودتي إلى منزلي كنتُ أفكرُ

من هذا الشاب؟

ماذا يريدُ مني؟

هل سيأخذني إليهِ ثمَ يتركني؟

كيف سيتسعُ قلبهُ لي بعد تلكَ الخيبات؟

كيف سأعودُ إلى نفسي إن تعلقتُ بهِ و تخلّى عني؟
دخلتُ إلى المنزلِ و وجدتُ أمي في انتظاري بقلقٍ و خوفٍ من تحطمِ قلبِ ابنتها الوحيدة!

-أنا بخيرٍ لا تقلقي!

=ماذا حدثَ عزيزتي
اجلسي و حدثيني

-لا شيء،
يريدُ أن اصبحَ صديقتهُ
و أنا موافقة
كان يعاني من اكتئابٍ
حاد، أحبَّ بعمق
و خُذلِ بنفس العمق
حين تخلّت عنهُ
خطيبتهُ قبل
حفلِ
الزفافِ بيوم!
=يا لهُ من مسكينٍ
لكنني أخاف
أن يتعلقَ أحدكما
بالآخر فيؤذيه فيما
بعد!

-لا تخافي من شيء
نحنُ ندركُ خطورة الأمر

=أرجو ذلك!

نظرتُ إلى هاتفي و وجدتُ رسالة تنص على :

"مرحباً بصديقتي الجديدة، ماذا تفعلينَ الآن؟

صديقك المكتئب يامن"

أرسلتُ لهُ :

"مرحباً صديقي، أنا على وشك النومِ الآنْ!
سنتحدثُ حينَ أستيقظْ "

هل يشعرُ فعلاً بأنني صديقتهُ، هل يخفي الهوى أم أنني أتوهم !

كيفَ سأنامُ الآنَ بعدَ هذا !

يامن

لا أعلمْ بعدْ كيفَ سأمنعُ نفسي من التحدثِ معها، ماذا تفعلُ الآن يا ترى !

هل نامتْ أم أصابها الفضولُ بشأني !

إلى أينَ سيجرفنا تيارُ الحبْ!

و كأنها فتاتي المتنظرة التي خبأتها الحياةُ لي بعدَ عناءٍ ، لكنني أخافُ الاقترابِ منها، أخافُ أن تتركني و لا تعودْ فأعودُ لاكتئابي و دماري السابق.

اتصلتُ بها و طلبتُ أن نخرجُ للإفطارِ غداً و وافقتْ لم تكن نائمة لعلها خائفة مثلي.

لا أستطيعُ فهمها جيداً، هل تحبني أم تحبُ صداقتي لأنني الوحيدُ الذي يمكنها التحدثُ لهُ؟

سالي على حق!

كيفَ سنقتربُ و نحنُ نخافُ أن يحطمَ أحدنا الآخر !

هذهِ النار التي تشتعلُ باستمرارٍ و تلتهمُ روحي، أحاولُ أن أغلفها بقناعٍ قاسٍ، ولا أعرفُ كيف أخمدها
أهربُ إلى فسحةٍ بعيدة و أمزّق قلبي ثم أعود فيتذكرُ عقلي تلكَ النظراتِ التي سرقتهُ من تفكيرهِ و تعيّده لنفسِ اللحظة، و يعودُ القلبُ العاقُ لتمرده، فكيفَ أتجاوز هذهِ الأحاسيس !

في اليوم التالي

كاميليا

استيقظتُ مبكراً و أخبرتُ أمي بأنني سأفطرُ في الخارجِ برفقة يامن فنظرتْ باستغراب و قالت لي:

متى سننتهي من هذهِ القصة؟

-ألمْ نتفق على
كونهِ صديقاً يا أمي

=و هل ترينَ أصدقائك
كل يومٍ و تلمع
عيناكِ عند ذكرِ أسمائهم!

-لا و معْ هذا
سأذهب

=أتمنى أن يلهمكَ

الله الصواب
يا ابنتي!

-سأتجهزُ و أخرجَ
مبكراً
أريدُ أنْ أتمشى قليلاً

=حماكِ الله
حبيبتي !

يامن

خرجتُ مبكراً و قد سبقني قلبي في الخروجِ و جلستُ في انتظارِ زهرتي اللطيفة.

و بعد قليلٍ دخلتُ و فاح عطرها، نثرتْ الجمالَ حينَ جلستْ..

سألتني :كيفَ حالكَ؟

أجبتها :أنا بخير
و أنتِ؟

قالتْ :جيدة

-هل تشربينَ القهوة
أم أحضرَ لك شيئاً
آخر؟

=قهوةً سادة
من فضلك!

-على الفور!
سعيدٌ بقدومك جداً

=و أنا سعيدة بدعوتكِ
رغمَ أنني لا أفهم سببها

-هذا السؤالُ لا
يمكنكِ طرحهُ على صديقك!

=إذاً نحنُ أصدقاء!

-نعمْ بالطبع!
و هل تعتقدين
شيئاً آخر !

=و لماذا سأعتقدْ
لا يهمْ

-ماذا تقصدينْ!

-لا شيء،
أخبرني عن عائلتك

=عائلة عادية
و محبّة
لديَّ أختٌ واحدة
و ماذا عنكِ؟

-أنا وحيدة أمي
بلا أخوة ولا أبٍ

=حقاً !
أينَ والدكِ؟

-تركني منذ طفولتي
لم يتحملْ مسؤوليتي
و بالطبعْ منفصلٌ عن أمي

=يا للمصيبة
و هل تذكر هذا
بعد إنجابك!

-لم يعدْ مهماً
أرجوكَ لا اريدُ
أن أثيرَ شفقتك

=امرأةٌ جميلةٌ
و ذكية بقدركِ
لا تثيرُ سوى اهتمامي
كوني على يقينٍ
من هذا !

-أنتَ ذكيٌ
و غامضٌ
و مثيرٌ للفضول

يامن :هل هذا غزلٌ
أم ماذا

=لا، هذا ذكرُ
صفاتٍ

-حينَ التقيتُ بكِ
ظننتكَ قطةً لكنك تبدين
الآن نمراً
ما هذا التمردْ وهذهِ
النظراتِ يا فتاة

=ههه
لم ترى شيئاً بعدْ!

-يا إلهي
إذاً سأهربُ
على الفورْ

=لن تذهبَ
لأي مكان، سوى برفقتي

-ما هذا الاندفاعُ
الفجائي

=ألستَ صديقي
هيا نذهب إلى عملي
أريدكَ أن تتعرف على مكان عملي
و غداً سنذهب إلى مكانك
المفضل للكتابة!

-موافق، و لكن
ماذا لو كانتْ غرفتي

=أنت مشاكسٌ فعلاً
سنذهبُ إلى مقهى فقط !

-موافق، هيا بنا !

=هل ستكتبُ لي
شيئاً ما غداً

-هل تريدينَ أن أكتبْ!

=نعم، أتمنى!

-سأكتبُ الكثير إذاً

=حقاً!
أشكرك!

و هاقد وصلنا إلى
عملي

-أنتِ محتالةٌ
و تختارين الأماكن
القريبةَ من عملك!

=نعمْ، و هلْ من المفترضِ
أن أكونَ خرقاء

-لا بالطبع،
و هل سأحتملكِ إن
كنتِ كذلك

=ستحتملني
كيفما كنتْ
صدقني!

-ما هذه الثقة!
تتخطى حدود ثقتي
في نفسي

=أنا زهرة و الأزهارُ
تتمردُ باستمرار و تتفتح
في الطبيعة

-أنتِ زهرةٌ

بالفعل حتى و إن
لم يكنْ اسمكِ
كاميليا

ابتسمتْ كاميليا

و دخلنا لرؤية المعمل الذي تعملُ بهِ و نظرتْ لي و أهدتني سترةً شتوية، ساعدتني بإرتدائها بلمساتها الرقيقةِ
و نظراتها المفعمة بالحبِ و قالت:

هذهِ هديةٌ من تصميمي
كي تتدفئ و تتذكرني

-و هل سأنسى قط
هذهِ الرقة!

أتذكركِ بهذهِ الأبيات:

يا أم عَمْـروٍ جـزاكِ الله مغفِرةً

رُدي عليَّ فُؤادي كالذي كانا

=هل أنا أم عمرو !

-لا، أنتِ
زهرةٌ لا تتوقف عن نثر
السحرِ أينما حلّت

=و أنتَ تشبهُ
قيس بن الملوح
لا تتوقفُ عن الغزل
أبداً

-لم ترين
شيئاً بعد،
مازالَ الغزل يتأهبُ
للخروجِ!

=أتغازلُ
جميعَ صديقاتك؟

-نعمْ
فما المانعُ؟

=أكرهُ هذا النوعَ
من الرجالِ

-هههه
لن أغازلَ
سواكِ، موافقة؟

=موافقة بعض
الشيء

-أنتِ مصيبة
هل تدركينَ هذا

كاميليا :هههه
لن أردّ فؤادكَ
كالذي كانا

=لا أريده، احتفظي
بهِ

-سأفعلْ

-سأتركِ لعملكِ
و أذهبُ الآن !

=إلى اللقاءِ
إذاً!

-إلى اللقاء.

كاميليا

ماذا سيحدثُ لي بعدْ، أنا متعلقةٌ في حبالٍ وهمية، لا أريدهُ أن يذهبْ، و لماذا سيذهبْ، ليتهُ يبقى إلى الأبد.

لا ليسَ جنوناً أنني أنجذبُ لهُ دونَ وعيٍ مني، و أنهُ يخرجني من عزلتي لأشاركهُ تفاصيلي، الجنونُ أن يمرّ في حياتي كشخصٍ عادي، الجنونُ أن أمنعَ نفسي عن حبهِ لأن المنطقَ يفترض هذا !

كنتُ أعدُّ الدقائق و الثواني إلى أن حلَّ صباحُ اليوم

التالي لأراهُ مجدداً..

خرجتُ من المنزلِ و ذهبتُ إلى المقهى الذي يكتبُ بهِ، كان جالساً بانتظاري وقفت لأتأملهُ قليلاً

كان يكتبُ بشغفٍ و أناقةٍ مثيرةٍ للحب!

هذا الرجلُ يغرقني في بحرهِ العميق و أنا انزلقُ و لا أريدُ النجاة أبداً.

دخلتُ و جلستُ على طاولتهِ دون أن أتفوهَ بكلمةٍ

نظرَ لي و قالَ :صباحُ الخيرِ
هل الزهورُ تصمتُ في الصباحِ

- ربما لا أدري

=ما أجملكِ و لكنْ ما بكِ!

- لا شيء، هل كتبتَ لي شيئاً

ما !

-نعمْ بالطبع!

=هل تعطيني دفترَك
لاقرأ:

"كاميليا، زهرةَ الحبُّ و السعادةْ، تتفتحُ يومياً تنثرُ جمالها و تصيبُ بسحرها، من ينظر إليها، أحببتها حينَ كنتُ أخافُ الحب و أمقتهُ، أميرةٌ هي لا تشبهُ أحداً، أحتاجها ولا أريدُ التورط بها، أشتاقُ لها و أخافُ الاقترابَ منها، أنا متورطٌ و أريدُ أن أكون صديقها "

=ما هذا!
خذ هديتكَ
أريدُ الخروجَ
من هنا
و قبلَ خروجي أريدُ
أن أعرّفكَ بنفسي
أنا كاميليا صديقتكَ التي أحبتكَ
و كانتْ ساذجة
و اعتقدتْ بأنكَ ستُخرجها

من ظلمتها عوضاً عن
الاستهزاءِ و اللعبِ بها

-إلى أينَ
انتظري

=اكتفيتُ بهذا القدرِ
أرجوكَ دعني و شأني!

ذهبتُ إلى منزلي بينما كنتُ غارقةً بدموعي و حيرتي
و يأسي من الحياةِ و التحسنِ مجدداً.

يامن

لأولِ مرةٍ في حياتي أشعرُ بأنني غبي

لا أدركُ ماذا فعلتْ

و لماذا فعلتْ

أحبها منذُ أنْ رأيتها و أكذبُ بهذا الشأن لخوفي من خسارتها و ها قد خسرتها بغبائي!

سأحتاجُ سالي مجدداً لايجادِ حلٍ ما.

ذهبتُ إلى عيادة سالي و أخبرتها بما حدثَ

فقالتْ :لماذا فعلتْ
ماذا سيحدثُ الآنَ
لكما!

كيف تشعرُ؟

- أنا متخدرٌ تماماً
لكنني مازلت في وعيٍ
لأصلحَ ما هدمتْ

=ستحتاجُ كاميليا
إلى عدةِ شهورٍ
لتتعافى
تحدثتْ معي منذُ قليلٍ
و أخبرتني عن حالتها
اذهبْ و لا تقتربْ منها
إلى أنْ تتعافى تماماً
و أعدْ النظر في هذا الموضوعِ
هل تريدها حقاً
أم تريدُ أن تملأ
فراغاً ما!

-لكنّي..
=اصمتْ و اذهبْ
أرجوك!

كاميليا

في اليومِ التالي اتصلتُ بسالي حين استيقظتُ و كنتُ أرتجفُ ولا أدركُ ما الذي يجبُ أن أفعلهُ.

-ألو سالي
أرجوكِ، أخبريني
هل سأتحسنْ

=أهلاً عزيزتي
بالطبعِ هل تناولتي
الدواء؟

-نعم، أريدُ الذهابَ للعمل
هل أستطيع؟

=بالطبع!
اذهبي و سنتحدثُ
على مدارِ الأيام
إلى أنْ تشفي تماماً

-أشكركِ جداً

و مضت العديدُ من الأيام بنفس الوتيرة، الانغماسِ بالعملِ، القلق، البكاءِ الشديد، الشوقُ ليامن الذي أعادني إلى حزني، و البحثَ عنهُ دونَ الاقترابِ منه !

و بعد مضي عدة شهورٍ

يامن

-أنا خارجٌ يا أمي ادعي
لي ارجوكِ

أمضيتُ شهوراً من الخوفِ و الحسرة، ذهبت آثارُ العطرِ الذي استنشقهُ لأعيش، كنتُ أختنقُ دونَ تلكِ الابتسامةِ اللطيفة و بدا العالمُ قاسياً بلا رحمة!

و كأنني الآن خارجٌ من أسري، أتخلصُ من قيودي حزني، أنا ذاهبٌ لرؤيتها في جلسةِ مراجعتها الأخيرة !

كاميليا

سالي!!!

لا أستطيعُ تصديقَ هذا!!!

أنا شفيت!!!

عانقتُ سالي بقوةٍ

و قالتْ لي :نعم!

لقد فعلناها

يا عزيزتي، أنتِ حرة الآن!!

دخلَ يامن و قاطعَ حديثنا

وقال :لا ليستْ حرةً أبداً
هي زهرتي الفريدة

اقتربِ مني و قالَ :

خسارتكُ كلفتني شهوراً
من الاكتئاب لكنْ
في هذهِ المرة كنتِ
أنت تنيرين عمتي
بروحكِ التي اقتربت مني
منذُ لقاءنا الأولِ
أنتِ سرُ سعادتي
و شفائي
هل تقبلين بي
زوجاً لكِ؟

-لا أصدقُ!!

هل يعقلُ أن أُشفى
و أصبحَ عروساً
لمن أحببتهُ

عانقتهُ بقوةٍ و قلتُ نعمْ!

صفقتْ سالي و انتهتْ قصتنا بحبٍ لم ينتهي أبداً

النهاية